

## أهمية المعنى في الترجمة عبر أطروحة بول ريكور

### The Importance of Meaning in Translation via Paul Ricoeur's Hypothesis

حيدر السعيد\*

تاريخ القبول: 2020 /05/ 07

تاريخ الاستلام: 2020 /02/ 23

**ملخص:** يهدف هذا المقال إلى إلقاء نظرة على المعنى وصلته بالترجمة. على أن المعنى بمعناه الشّامل الرّحيب يشتمل كذلك على المبنى أو الشّكل المتمم لفائدة القول أو الخطاب. والحال يسعى هذا المقال إلى تبين أهمية علمية المعنى بالاستعانة بأطروحة بول ريكور في مسألة معنى النّطق ومعنى النّاطق بعبارة أخرى دلالة المبنى ومعنى النّاطق وكل هذا لفائدة مهمة المترجم.

**كلمات مفتاحية:** القول؛ الشّكل؛ المعنى؛ مهمة المترجم.

**Abstract:** The aim of this study is to confront two concepts proposed respectively by both the meaning and the form. Within a comparative perspective, the analysis will focus on what Paul Ricoeur(1976) call " The Utterance Meaning " , on the one hand, and " The Utterer's Meaning", on the other hand. Our aim is to underline the scientificity of meaning in favor of task of the translator.

**Keywords:** utterance; utterer; meaning; form; task of the translator.

**1. مقدّمة : الترجمة - كما هو معلوم - ليست إلا ملازماً طبيعياً لبسط "المعنى" بكل عناصره اللسانية وما وراء اللسانية extra-linguistique. وعليه يكمن هدف المترجم النهائي في نقل "المعنى" من لغة إلى أخرى من خلال عبور محفوف - في الغالب الأعم - بالمخاطر المحيطة بالمبنى أو المعنى على حد سواء نظراً لاختلاف اللغات - أو على الأصح - لاختلاف الشّعوب في إلقاء "خطابها" ما يجعل "كيان" هذا الشعب أو ذاك متأثراً سلفاً بمقومات ثقافته السابقة ومكتنزا بركام معرفي يختلف عن معرفة المجتمع الذي سينقل إلى لغته النصّ الأجنبي. والمترجم مدعو - والحال هذه - إلى التّوجه إلى تلك اللغة "عارفاً" بكيانها لا غير.**

\*معهد الترجمة/جامعة الجزائر2، البريد الإلكتروني: [elsaid.haider@univ-alger2.dz](mailto:elsaid.haider@univ-alger2.dz) (المؤلف المرسل)

وعليه قد يكون من المفيد طرح السؤال الآتي: كيف يعالج المترجم مسألة المبنى والمعنى: دلالة المبنى ومعنى "المُخاطَب" تحقيقاً للتواصل في موطن استقبال مغاير بتفاصيله المعقدة ومنها العوامل اللاشعورية المؤثرة في تفكير الإنسان أيّ المعتقدات والأعراف الاجتماعية والقيم الأخلاقية وليدة بيئته وتراثه وما إلى ذلك، إذ لكل مجتمع تراث هو به مخصوص، فالإنسان ينشأ منذ باكر طفولته في تراث معين وإذا ظل في كبره قابعا فيه لزم تفكيره قديم قوالبه بحسب تراثه وقيمه النبيلة التي نشأ فيها.

وأقترح للإجابة على هذا السؤال الاستعانة بأطروحة بول ريكور Paul Ricoeur التي عرضها في كتابه: "نظرية التأويل، الخطاب وفائض المعنى" (2003) المترجم عن الأصل:

*"Interpretation Theory: Discourse And The Surplus Of Meaning" (1976)*

وذلك في إطار مناقشته لمسألة "معنى النطق" و"معنى الناطق" من خلال الانتقال من اللغة إلى القول بوصفه واقعة كلامية.

**2. معنى النطق ومعنى الناطق:** تبني بول ريكور "نظرية أفعال الكلام" *Speech Acts* " لأوستين Austin كمقاربة لتبيين رأيه في الواقعة الكلامية أو الحدث الكلامي كما وقف طويلا عند مسألة "المعنى" بوصفه "مغزى" *Intention*، إذ يشير بول ريكور بمزيد من الاهتمام والحدز إلى مسألة الفصل بين المعنى اللفظي لـ "القول" (= الخطاب) والقصد الذهني لـ "القائل" (=المخاطب) باعتبار أن اللغات لا تتكلم بل يتكلم الناس بها، والناس لا تستطيع أن تتكلم من دون لغة، وهكذا فللمعنى - عند ريكور - مظهران: المعنى الذي يريد نقله قائل القول (= ناطق الخطاب) والمعنى الذي ينقله الخطاب نقلاً، إذ يشير معنى النطق إلى معنى الناطق (ريكور، 2003).

ونتوقف توقف متئن عند هذا الرأي الذي نراه يندرج في صميم عمل المترجم، ولتوضيح هذا نضرب مثلاً بالخطاب الآتي إذا قال قائل:

- بردتُ! - J'ai froid!

قد يعني ناطق الخطاب في سياق معين:

- Parce que la fenêtre est ouverte, donc ferme la fenêtre !

ما دامت النافذة مفتوحة فأغلقها، فالمعنى الذي يروم قوله ناطق القول أو الخطاب لا يظهر في أصل الخطاب الخبري، لكن يبقى في ذهن الناطق، على أن السياق هو الذي يسهل فهم المقصود من خطابه، وما كان يدور في ذهنه لحظة الواقعة الكلامية *SpeechEvent* وفي خطاب آخر، يقول قائل متسائلاً:

- A qui est cette disquette qui traîne sur la table ?

تستفهم لغة الخطاب عن قبوع القرص على الطاولة، بيد أن المقصود يبقى في ذهن المخاطب غير مُفصّل عنه إفصاحاً، وربما كان يعنيّ به في سياق ما:

– Elle n'est pas à sa place, range-là. (Arcand et Bourbeau, 1998)

أيّ أنّ القرص ليس في موضعه ويجب أن يُنحى.

وقد يسأل سائل من المهتمين بحقل التّرجمة: أينقل المترجم أصل الخطاب أم مغزاه المتواريّ خلف لغة الخطاب؟ والواقع أن المخاطب قد يريد من الخطاب التّعميّة أو التّضليل في موضوع ما إبقاءً له ثاوياً خلف البنية التّركيبية الدّلاليةّ لحاجة في نفسه لا يبغيّ التّصريح بها.

**3. المعنى المقصود للقول (نظرياً):** إن المعنى المقصود يدعو إلى إعمال العقل والتّفكير والتّروي، وقد يقود التّأمل فيه إلى تقبله، ولا شك أن أكثر المعانيّ تأثيراً وأشدّها تمكناً في النّفس وبواطنها هيّ التي يهتديّ إليها القارئ بعد جهد يطلبه ويتعب فيه (حمودة، 397).

يقول عبد القاهر الجرجانيّ في كتابه "أسرار البلاغة": "أن المعنى إذا أتاك ممثلاً فهو في الأكثر ينجليّ لك بعد أن يحوجك الى طلبه بالفكرة وتحريك الخاطر والهمة في طلبه، وما كان منه ألطف كان امتناعه عليك أكثر وإباهة أظهر واحتجاجة أشد ... فكان موقعه من النّفس أجل وألطف... أن هذا الضرب من المعانيّ كالجوهر في الصدف ما يبرز لك إلا أن تشقه عنه، كالعزيز المحتجب لا يريك وجهه حتى تستأذن عليه (الجرجاني، 1959)

إن المعنى المقصود عند الجرجانيّ ليس هو المعنى المباشر، بل هو الذي يحوجك للتّفكير فيه، ويتحدّى الفهم السريع بامتناعه على القارئ، وكلما عانى القارئ في طلب المعنى كان ألطف (حمودة، 2001).

ولتوضيح الأمر نأخذ قولاً من أقوال العرب المشهورة في الكرم: "فلان كثير الرّماد". هذا الكثير الرّماد من نظرة تركيبية - دلاليةّ خالصة يمتلك رماداً كثيراً أو أن بهذا المكان أيضاً رماداً كثيراً... فلفظ "الرّماد" من جهة معجميّة إنما يدل في أصل الوضع على مخلفات الاحتراق، فكل رماد بقايا اضطرام النّار في شيء يحترق.

لكن في الحقيقة قصد المخاطب لا يرمي إلى كثرة الرّماد وإنما إلى قصد آخر في ذهنه: "فهو يريد أنه نديّ الكف، مبدال، معطاء، جواد لوفر كرامه وفرط سخائه فأن ناره لم تنزل تتأجج لتنضج الطعام الذي يقرى به إلى الضيوف (مرتاض، 1993).

إذن فالكرم هو معنى القائل وقصده، وهو غائب خلف "لغة الخطاب" ولكنه أيضاً حاضر وراء هذه اللغة ومن دون هذه اللغة لا نستطيع أن نصل الى ذلك المعنى الكنائي، فاللغات لا تتكلم بل يتكلم النّاس بها على حد قول ريكور، فالعبارة الكنائية إذن تحجب المعنى وتكشف عنه في آن.

وعلى الرغم من وضع عبد القاهر الجرجاني عبارة كثير الرماد في خانة " بلاغة الكناية" لا يمكن أن نبغض النظر عن "تداوليتها" أو بالأحرى قصديتها المحمولة على الكرم، لا سيما إذا ما علمنا أن " البلاغة تداولية في صميمها". كما قال بذلك ليتش Vincent B. Leitch (فضل، 1992).

**1.3 المعنى المقصود وصلته بالترجمة:** بطبيعة الحال، قد يحدث المعنى المتحجب عند السامع (بلغة البلاغة العربية) أو عند المتلقي (بلغة التلقي) متعة في النفس وتذوق في تلقيه، بيد أن الترجمة تصوير نوعا من العبث بلا قيمة اتصالية، ولتوضيح هذا الأمر، نحاول ترجمة " كثير الرماد " إلى الفرنسية منتهجين منها نهج الترجمة الحرفية التي تركز على المبنى (الشكل) وقد نحصل على:

– Il a beaucoup de cendres !

إن القارئ بالفرنسية قد لا يفقه من هذا الخطاب أو القول معنى مفيداً، وقد يفهم منها في أفضل الحالات أن أحدهم قد مات وكان رماد جثته كثيراً بحسب ثقافة بعض شعوب البلدان التي من عقيدتها حرق الموتى، إذ جاءت هذه الترجمة لقارئ هذه اللغة معنى أشبه بالغريب عنه ثقافياً أو أجنبياً عند مجتمعه! فبلاغة هذا الخطاب كانت تسعى إلى تعديل موقف السامع ومحاولة التأثير فيه من خلال القصديّة الثاوية خلف لغة الخطاب، فالكرم لم يأت دفعة واحدة، فقد باعدت الصورة الحقيقية فيها تلك الصفة فأثارت في نفس المتلقي أو السامع الفضول فجعلته يتساءل عن المقصود بحيث صار المعنى القريب قنطرة للعبور إلى المعنى البعيد... وهذا يقتضي نوعاً من إعمال الفكر والروية إذ ليس الرماد إلا دليلاً على وجود احتراق أي أنه معلول بعله النار المحرقة فكأنه سمة حاضرة تدل على غائب، فلا رماد إذن بلا نار كما أنه لا دخان بلا نار أحدهما "حاضر" وهو "المعلول" وأحدهما "غائب" وهو "العلة" (مرتاض، 1993).

ألا وقد يبدو للوهلة الأولى أن المصطلحات التي أوردناها من مثل " العلة والمعلول" أو كما يقال أيضاً بلغة النّحاة العرب: " الانتقال من اللازم إلى الملزوم" أو " المعنى القريب في مقابل المعنى البعيد" أو كما يقال بلغة الجاحظ: " المعاني القائمة في صدور الناس المتصورة في أذهانهم"، أنها متباعدة عن أطروحة ريكور في مسألة "معنى النطق ومعنى الناطق" إلا أنها متقاربة في جوهرها تقارباً كبيراً.

وعودّ إلى عبارة "كثير الرماد" ومعناها المتواري المراد به إشراك القارئ في متعة التأويل، بينما يغيب هذا المراد أو على الأصح "أثر المعنى" (Charaudeau et Maingueneau, 2002) «effet de sens» عند نقله بطريقة التفسير إلى اللغة الفرنسية:

– Il est très généreux !

فقد ظهر المعنى المقصود وافياً في الترجمة، ولم يأل المتلقي/القارئ جهداً في تلقيه ساعة القراءة، وفي الوقت نفسه لم يحدث تأويلاً تواصلياً، على أن "أهل الهدف" أو "الهدفيون Ciblistes" يعدون القارئ هو المستهدف الأول والأخير من الترجمة خلافاً «للمصدرين " Sourciers" الذين يتشبثون بلغة المصدر.

وعليه قد يقابل "الكرم" المحتجب في "كثير الرّماد" بالمكافئ الدينامي - Equivalent dynamique بلغة يوجين نيدا - بالترجمة الآتية:

- Il a le cœur sur la main !

ولكن الترجمة الحرفيّة لها قد تعنيّ عند القارئ بالعربية :

(أ) كان قلبه على كفه! (محمد رضا، 2000)

فقد يفهم قارئ هذه الترجمة (أ) للوهلة الأولى بحسب نوااميس مجتمعه الثقافيّة - الاجتماعيّة شيئاً آخر غير "الكرم"، كأن يقدم الحبيب إلى محبوبته أعز ما يملك: "قلبه" رمز المشاعر والأحاسيس، ويضعه على راحة كفه، تعبيراً عن شعورٍ مرهفٍ أخاذٍ!

هكذا إذاً تصور صورة "الكرم" عند النّاطق بالفرنسيّة بحسب رؤيته، فبيئة المخاطب وما عنده من ثقافة موروثيّة تسد مسداً في تصوير المعاني وتمثيلها في ذهن مجتمعه، فاللغات لا تعبر عن تجربة إنسانيّة واحدة لهذا العالم...

والآن، نتوقف عند مصطلح "المكافئ" أو "المعادل" الذي يبدو مصطلحاً مضللاً بعض الشيء: فنقول هل أدّت الترجمة الفرنسية:

- Il a le cœur sur la main ?

معادلاً صحيحاً خالصاً لقيمة "الكرم" عند القارئ بالعربية؟

لا جدال أن "الكرم" في تراث العرب وبيئته يدل على الرّفعة والفخر وعلو القدر، بل هو أصل المحاسن كلها، فقد كانت الشّجاعة والكرم من صفات المجتمع العربيّ الجاهليّ وكان من أشهرهم «حاتم الطائي» حتى صار مضرب المثل، وهناك كنايات أخرى في الكرم، كقول الشّاعر:

ومهما في من عيب فانيّ جبان الكلب مهزول الفصيل

يعنيّ أن كلبه إذا نبّح الأضياف زُجرَ فينزرُ فيجبنُ عن نبّحهم، وأن اللبّن الذي يسمّن الفصيل يُجعل للأضياف، فيورث ذلك هُزال الفصيل (كحيل، 2004).

كما اهتم الإسلام بهذه الخصلة النّبيلة فنامها، ومن أسماء الله الحسنی "الكريم"، وهو صفة من صفاته، كما ركز النّص القرآنيّ على صفة الإنفاق في أكثر من آية قرآنية: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْتَكُمْ﴾ (البقرة: 254)، ﴿لَنْ نَأْثُرَ إِلَّا بِرَحْمَتِكَ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْتُمْ﴾ (آل عمران: 92). ووفقاً لما تقدم يبدو أننا نقف أمام حدود إمكانيّة الترجمة في بسط "المكافئ" بقضيه وقضيضه في اللسان الآخر.

**4. خاتمة:** يبدو أن مسألة "معنى النطق ومعنى الناطق" كما لو كان أحدهما "موضوعياً" كصفة أولية (خطاب اللغة) والآخر «ذاتياً» كصفة ثانوية (خطاب القائل) أو على الأصح قصد القائل الذي يمثل غائية الخطاب finalité ، كما أن الإبقاء على مثل هذا التمييز - في أطروحة بول ريكور - يبدو مفيداً لا مندوحة عنه في معرفة سبل الترجمة، والسعي لبلوغ "المكافئ الملائم" رغم نسبيته وتشظيه كما رأينا في مفهوم "الكرم" الذي يدخل في خانة العوامل اللاشعورية التي يرثها الوارث من بيئته وتراثه أو لنقل ناتج ثقافته في المفهوم المعاصر، وهو ما قد يمثل "فائض المعنى" عند بول ريكور أو على الأصح المعنى الزائد.

## 5. قائمة المراجع

- ريكور، بول، نظرية التّأويل: الخطاب وفائض المعنى، ترجمة: سعيد الغانمي، بيروت، المركز الثقافي العربي، ط1 2003، ص 14، 39، 61.
- حمودة، عبد العزيز، المرايا المقعرة، نحو نظرية نقدية عربية، مجلة عالم المعرفة، العدد 272، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، أوت 2001، ص 270، 397.
- الجرجاني، عبد القاهر، أسرار البلاغة في علم البيان، صحتها وعلق عليها: محمد رشيد رضا، القاهرة، مكتبة محمد عليّ صبيح، 1959، ص 109 - 111
- مرتاض، عبد الملك، بين السمة والسميائية، مجلة تجليات الحداثة، العدد 2، جامعة وهران (السانية، جوان 1993 ص 20، 21.
- فضل، صلاح، بلاغة الخطاب وعلم النّص، مجلة عالم المعرفة، العدد 164، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويت، أوت 1992، ص 454.
- كحيل، بشير، الكناية في البلاغة العربية، القاهرة، مكتبة الآداب، ط1، 2004، ص 50.
- محمد رضا يوسف، الكامل الوسيط زائد، بيروت، مكتبة لبنان ناشرون، 2000، ص 560 (مادة main)، ص 151 (مادة coeur): ترجم العبارة بـ: "كان سخيّ اليد، نديّ الكف".
- R.Arcand et N. Bourbeau, *La Communication efficace, de l'intention aux moyens d'expression*, Bruxelles, De Boeck, 1998, p.40-41
- P.Charaudeau et D. Maingueneau, *Dictionnaire d'analyse de discours*, Paris, Seuil, 2002, P.207.

